

البطل إدريس دويده بن حمادي

حياته وشعره

الدكتور مصطفى حجاج

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات - جامعة غرداية 1

hadjadjmus47@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/02/ 16 ؛ تاريخ القبول: 2024/03/22

The hero, Idris Douida bin Hamadi

Mustapha hadjadj

summary:

In this article, we discuss the life and poetry of the hero Idris Douaïda bin Hamadi. The importance of this research lies in the fact that it sheds light on a hero and martyr of the national resistance. These are heroes and martyrs who were neglected and forgotten by popular memory.

I divided the research into two parts: I devoted the first part to the life of the hero Idris Douida bin Hamadi. The second

section I devoted to his poetry in general, and to his only remaining poem in particular.

Due to the lack of written references, most of the linguistic material that I relied on is oral sayings, which I took verbally from their owners.

Keywords: The Hero, Idris Douida Bin Hammadi, poetry

ملخص:

نتناول في هذا المقال حياة البطل إدريس دويده بن حمادي وشعره. وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على بطل وشهيد من أبطال وشهداء المقاومة الوطنية. هؤلاء الأبطال والشهداء الذين تعرّضوا للإهمال والنسيان من طرف الذاكرة الشعبية.

وقد قسّمت البحث إلى قسمين: القسم الأول خصصته لحياة البطل إدريس دويده بن حمادي. والقسم الثاني خصصته لشعره بصفة عامة، ولقصيدته الوحيدة المتبقية بصفة خاصة.

وبسبب عدم وجود مراجع مكتوبة فإنّ أغلب المادة اللغوية التي اعتمدت عليها هي أقوال شفوية، أخذتها مشافهة من أصحابها.

الكلمات المفتاحية: البطل ، إدريس دويده بن حمادي، الشعر

- حياة إدريس دويذة:

1-1- نسبه:

هو إدريس بن حمّادي، الملقّب بدويذة، بن دومة بن محمّد بن دحمان بن الحاج عبد الحي بن الحاج دحمان بن الحاج محمّد بن الحاج اسلامة بن اهبال بن زيد. من فرقة أولاد الحاج دحمان، عرش أولاد زيد، من المواضي، أحد فروع الشعانبة المستقرّين بالمنيعّة.

1-2- عائلته:

ينتمي إدريس إلى عائلة دويذة، إحدى عائلات فرقة أولاد الحاج دحمان، من عرش أولاد زيد. تتفرّع عائلة دويذة من الأخوين: حمّادي، الملقّب بدويذة، والشيخ، ابني دومة بن محمّد بن دحمان بن الحاج عبد الحيّ.

تزوّج حمّادي دويذة بامرأتين، الأولى رقية بنت عبد القادر بن محمّد بن دومة بن الحاج عبد الحيّ، من عرش أولاد زيد، فرقة أولاد الحاج دحمان، أنجب منها ثلاثة أبناء: قّدور، وبورحلة، وإدريس، وبنت اسمها مريم.

والزوجة الثانية فاطنة بنت الزيقم بن الطيّب بن منصور، من عرش أولاد زيد، فرقة أولاد الحاج منصور، أنجب منها ابنين: عبد القادر، وعلي.

ومن هؤلاء الإخوة الخمسة ثلاثة شعراء: قّدور، وإدريس، وعلي.

1-3- ميلاده:

لا نعرف بالتحديد سنة ميلاد إدريس بن حمّادي، ولكن يمكن تقريبه من خلال الاعتماد على قرينتين، الأولى أنّه مات وهو شابّ بين الثلاثين والأربعين. والثانية أنّه مات سنة 1900. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول إنّهُ ولد بالمنيعَة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، بين سنة 1860 و1870.

1-4- جهاده:

شارك إدريس بن حمادي في الجهاد في سبيل الله ضد الغازي الفرنسي في منطقة عين صالح، ونحن نعلم أنّ منطقة عين صالح شهدت ثلاث معارك معروفة:

1- معركة الفقيقرة (20 كلم شرق عين صالح)، وقعت في 28 ديسمبر 1899، سقط فيها 50 شهيدا، وأُسر 64 مجاهدا.

2- معركة الدغامشة (04 كلم جنوب عين صالح)، وقعت في 05 جانفي 1900، سقط فيها 150 شهيدا، وأُصيب فيها 200 جريح.

3- معركة اينقر (65 كلم غرب عين صالح)، وقعت في 19 مارس 1900، سقط فيها 500 شهيدا، وأُصيب فيها أكثر من 500 جريح.

(يُنظر إبراهيم مياشي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار هومة، الجزائر، ط 2005، ص: 460-476.)

ولا ندري هل شارك إدريس دويذة في المعارك الثلاثة أم شارك في واحدة منها فقط. إذ لم تحفظ لنا الذاكرة الشعبية كثيرا من أخباره وأخبار جهاده ضدّ الاحتلال الفرنسي. ولكنّ الشيء الأساسي

المعروف والمتواتر عند كثير من الناس هو مشاركته في معركة اينقر بعين صالح، التي وقعت في 19 مارس 1900، التي تُعرف عند أهل المنطقة بخلية عين صالح، شارك فيها إدريس بن حمادي وأبلى فيها بلاءا حسنا، إذ قتل ما يقارب الخمسين من جنود الاحتلال، أغلبهم ضابطا. حيث كان مشهورا بجودة التسديد والقنص. وقال للفرنسيين كل من وجدتموه مضروبا برصاصة في جبهته فأنا قتلته.

ولما نفذ رصاص بندقيته وتيقن من الهزيمة فرّ إلى الصحراء رفقة صاحب له من التوارق. ولم يلبثا أن وقعا في أيدي الفرنسيين.

ذكر لي مصطفى فرطاس (ولد 1963) بن علي بن محمد بن احميدة أنّ أباه عليا (المولود سنة 1900) ذكر له أنّه سمع من أبيه محمد، كان حاضرا في المعركة، أنّ إدريس دويذة بن حمّادي قال لهم كلّ من وجدتموه مقتولا برصاصة بين عينيّه فأنا قتلته. فتفقدوا القتلى، فوجدوه قتل كثيرا من الجنود الفرنسيين، منهم ثلاثون ضابطا، كلّ واحد منهم مضروب برصاصة بين عينيّه. وذكر لي أنّه كان فوق هضبة ببندقيته، ومعه سبعة نفر مهمّتهم حشو البنادق بالرصاص. ولما نفذ الرصاص دخلوا للقعة للتزود، فرأهم الفرنسيون فقصفوا القعة بالمدفعية الثقيلة فانهار الجدار الذي كانوا يتحصنون به فقبض الفرنسيون على المجاهدين وقاموا بقتل أكثرهم.

وذكر لي الشيخ حجاج بن محمد الباقي بن الشيخ أنّ أباه ذكر له أنّه سمع قصة جهاد إدريس دويذة بن حمادي من شيخه الذي قرأ عليه القرآن، وهو الشيخ سي المختار من عين صالح، وقد كان يُقرئ القرآن في حي أولاد زيد، حوالي سنة 1920. كان سي المختار

مشاركاً في المعركة، وكان مع الأطفال الذين يُعَبِّنون البارود في
البنادق ويعطونها لإدريس دويده. قلتُ ذكر سي المختار لتلميذه محمد
الباقي أنّ إدريس دويده كان قنّاصاً ماهراً، وأنّ رميته لا تُخطئ، وقد
كان بجنبه بعض النساء والأطفال يملئون له البنادق بالرصاص وهو
يقوم بالرمي، وذكر له أنّه قتل ثلاثين ضابطاً، وعدداً آخر من
الجنود. وأنهم عندما أمسكوا به قال لهم كلّ من وجدتموه مقتولاً
برصاصة في جبهته فأنا قتلته.

وذكر لي الشيخ حجاج بن محمّد الباقي أيضاً أنّه سمع من جماعة
من اينقر أنّ إدريس دويده بن حمادي قتل العقيد الذي كان يقود
الجيش الفرنسي، وأنّ فرنسا كانت تنوي إبادة أهل اينقر انتقاماً
لعقيدتها المقتول.

1-5- استشهاده:

ذكر لي الحاج قويدر دويده بن قدور العايب بن بورحلة بن حمادي
أنّ الفرنسيين لمّا أسروا إدريس بن حمادي وصاحبه التارقي
استجوبوهما مرّات عديدة على انفراد لعلهم يتحصلون منهما على
معلومات تخصّ الثوار، لكنّهما لم يدليا بأية معلومة. وكانوا كلّ مرّة
يقولوا لأحدهما إنّ صاحبك قد اعترف، فيقول هيهات أن أصدّق هذا،
فأنا أعرف صاحبي أكثر منكم.

ولمّا يؤسوا منهما قرّروا قتلهم. ولمّا أرادوا قتل إدريس طلب منهم
أن يسمحوا له بأن يصلي ركعتين فسمحوا له. ولمّا انتهى من صلاته
وضع غطاء برنوسه على رأسه وقال لهم نفدّوا الآن حكمكم، فقتله
أحدهم رمياً بالرصاص.

وذكر لي مصطفى فرطاس بن علي أنّ الفرنسيين قالوا لإدريس دويده أنت من المنبعة فلماذا تقاتلنا هنا في عين صالح ؟ فأجابهم في ما معناه: لقد عاهدت الله أن لا أعيش معكم في مكان واحد وأن أحاربكم أينما لقيتكم.

وذكر لي أيضا أنهم لما قتلوه وجدوه مبتسما، وأنّ بعض الأهالي غسلوه وكفّنوه ثمّ دفنوه، ولما سألوا الإمام قال لهم كان يكفيكم دفنه على هيئته التي هو عليها، لأنّ الشهيد لا يغسل ولا يكفن.

ولما قتلوه بعثوا برأسه إلى المنبعة بغية التعرّف على أهله ليقتلوه أو ينفوهم بعيدا عن المنطقة انتقاما للضباط والجنود الذين قتلهم. وحين سمع القائد سالم عمراني (1855- 1938) بن عيسى ما بيّته القادة الفرنسيون، تسلّل ليلا إلى والد إدريس، وهو السيد حمّادي دويده بن دومة بن محمد وأخبره بما بيّته العدو الفرنسي، ونصحه بأن ينكر أنّ إدريس ابنه، وأن يتصل فورا ببعض شيوخ أولاد زيد ويطلب منهم أن يذهبوا معه ليدعموا كلامه. وفي الصباح استدعى الحاكم الفرنسي السيد حمّادي بن دومة وطلب منه أن يتعرّف على ابنه، ولما رأى رأس ابنه الشهيد إدريس أنكر معرفته به، وقال للحاكم الفرنسي ليس لي إلا أربعة أبناء: علي، وبورحلة، وعبد القادر، وقدرور. وهؤلاء بعض شيوخ أولاد زيد في الخارج إن شئت أن تسألهم. وبهذه النصيحة الحكيمة من طرف القايد سالم عمراني، وبفضل الله سبحانه وتعالى أولا نجا والد إدريس حمّادي بن دومة وعائلته من القتل والتشريد.

وجلّ المعلومات السابقة سمعتها عن الحاج قويدر دويده بن قدور العايب، رحمه الله، وقد ذكر لي أنه سمعها من مصدرين:

- الحاج بورحلة دويذة بن علي بن حمادي.

- وأحمد بلقندوز بن أحمد بن عبد القادر.

وروى لي القصة أيضا الحاج دحمان طرودي بن عبد الحاكم، وقصته معروفة عند كثير من الناس.

وروى لي القصة أيضا الشيخ حجاج بن محمد الباقي عن أبيه، ولم يذكر لي أنهم أتوا برأسه، وإنما قال لي إنّ القائد سالم عمرانى بعث أحدهم إلى حمادي دويذة بن دومة بن محمد ليحضر إليه، ولمّا ذهب إليه قال له إنّ ابنك إدريس قد مات شهيدا، وإنّ الحاكم الفرنسى سيستدعيك في الغد، وهو عازم على الانتقام منك ومن قبيلتك، فإذا أردت النجاة أنت وقبيلتك فقل بأنّ إدريس ليس ابنك ولا تعرفه، ولمّا حضر في الغد، وسأله الحاكم أنكر معرفته بإدريس، وقال ليس لي إلا أربعة أبناء.

فانظر إلى ذكاء إدريس بن حمادي، وانتقائه في القنص للضباط فقط، لأنّ قتل مجموعة من الجنود أهون على الجيش الفرنسى من قتل ضابط، لذلك كانت فرنسا تريد الانتقام من إدريس بن حمادي من خلال إبادة عائلته وجميع قبيلته.

دُفن إدريس رحمه الله مع شهداء معركة اينقر في مدينة عين صالح التي تقع جنوب المنيعية على بُعد 400 كلم.

ونذكر لي السيّد طه الزايدى بن حروز بن احميدة أنّ السيّد الهوصاوي الذي يسكن انغر ذكر له أنّ السلطات الفرنسية لمّا قتلت إدريس دويذة بحثت عن أهله لأجل الانتقام، فوجدت له زوجة حامل،

فقتلت الزوجة وبقرت بطنها, والجنين وأمه مدفونان بقرب قبر إدريس دويذة.

وذكر لي الحاج دحمان طرودي أنّ زوجته هي ابنة صديقه التارقي الذي قُتل معه, وأنّ التارقي من عائلة خموك.

1-6- ما قيل من شعر في رثائه:

وذكر لي الحاج الشيخ نواصر بن سالم بن لعبيد أنّ الشاعر قدور دويذة بن حمادي رثى أخاه إدريس بقصيدة لكنّه لم يحفظ منها إلا الكلمات التالية:

كلّ يوم تحشد لي الهموم ما كان من شاف لي إدريس يكفح
فالقوم

وذكر لي قويدر صنديد بن علي بن بوحفص أنّ قصيدة قدور بن حمادي التي قالها في رثاء أخيه مطلعها:

من قلّة الرجال نخمّم في كل يوم تهدف لهموم
وعلى ادريس ماهو فالقوم

وذكر لي أنّه لا يحفظ من القصيدة إلا هذا المطلع.

وذكرت لي خالتي الحاجة فاطنة طرودي بنت محمد بن الشيخ أنّ أخت إدريس بن حمادي: مريم بنت حمّادي دويذة رثته بقصيدة لم تحفظ منها إلا الكلمات التالية:

واهانا وعلى ادريس نطف ليا لجراح

واهانا دمّو يزرقطو بيه الحوريات

واهانا والخوخ والعنب طايب كل الوان

2- شعره:

2-1- شعر إدريس دويذة بصفة عامّة:

بالإضافة إلى البطولة والشجاعة كان إدريس شاعرا. ولكن للأسف لم يصلنا من شعره إلا قصيدة واحدة, وبعض الأبيات القليلة من قصائد مفقودة.

القصيدة التي وصلتنا مطلعها:

من ضيق الروح عدت في الارض انهؤم, يا اهل اللزم

لا حدّ قريب نعرفو نبقى ملقاه

نحمد ربّي قريب نتسنّى معطاه

وقد تتبعت هذه القصيدة وجمعتها من روايتين.

الرواية الأولى سمعتها من الشيخ جلول شبير بن إبراهيم بن إبراهيم, وهو من الشعراء المشهورين في المنية.

والرواية الثانية أخذتها عن الشيخ أحمد بودبوس بن إبراهيم بن أحمد, وهو أيضا من الشعراء المعروفين في المنية.

ووجدت عند السيدة يمينة بلقندوز بنت محمد بن قويدر بعض الأبيات
من ثلاث قصائد.

القصيدة الأولى فيها ثلاثة أبيات:

توق من توقعات بعاد يا بغداد

يا اللي ظلت لك راقبة عيني

ما تريث شي حوداد يا بغداد

فالبرور تميتر نعت سيساني

راكب أبيض قمري تاق يا بغداد في رواضي جامع بصمعتو مبني

القصيدة الثانية, أظنها مزيجا من قصيدتين أو ثلاث:

قصّة صيني منين نقّ بكاني

واش ازاني في بلاه اظلمتو

عينو كحلا قرنو حبّ

كي بدا يلوح خبلاتو

جات امو تضبح قالت من ادا ولدي ما يربح

من وراه فرزو لحماتو

واش ازاني في بلاه مسكين ظلمتو.

وسألت السيدة يمينة عن الصيني فقالت لي فهو نوع من الغزال,
ويُصَغَّر أيضا فيقال صويني.

القصيدة الثالثة:

أسيدي سيدي ومن شاف لي سيدي

في ليل البارح نعطيه البشارة ونخسر من عندي

سيدي امارتو نعطيك نعاتو

مثلجين سناتو صافي الخدود

وبهذا نرى أنّ أغلب شعر إدريس دويذة ضاع, ولم يبق له إلا قصيدة
ضاقت روحي, وسنتحدث عنها في ما يلي.

2-2- قصيدة ضاقت روحي:

ضاقت روحي وعدت في الارض نهوم يا اهل اللزم

لا حدّ اقريب نعرفو نبقى ملقاه

نحمد ربّي قريب نتسنى معطاه

راني قادي ندور عتاريس اكرم يا اهل اللزم

قابض الاظلال قي ندور في مفلّاه

نلقى ولد الغزال والريم مقمّم يا اهل اللزم

راقـد في وطيـتو حـتـان تجيـه امـاه
نلقـى ولد الغـزال فالعـرق مـقـمـ يا اهلـ اللـزم
عـمـرو مسـكين ما خـدعـتو تـزد حـداه
الدنيا فيها اغـزال في الارض مـكـمـ يا اهلـ اللـزم
وافراد القـشـو والنـعام يجيـك مـعاه
رافـد لو تونـسي اسـباعي تـتـقـمـ يا اهلـ اللـزم
بوخـوصـة فالسـريـر رايم في مجـراه
الدنيا فيها ايشـاشـرة وبنـات العـمـ يا اهلـ اللـزم
ويشـاشـرة العـمـوم تـمـ لـتـنـداه
أهل كـلاحت صـنع الخيـوط برايم يا اهلـ اللـزم
والا كان الحـريـر في شـرطـو مـبـهـاه
أهل لبـاسـات عـلى الدـروعة تـتـحـزم يا اهلـ اللـزم
واهل زويـجات والسـيف اللـي بجـواه
بارود الصـبح يـطـلقـوه يطـيح اهـضم يا اهلـ اللـزم
والخـذري مسـكين من جـعب زلـزل مـلقـاه

الدنيا فيها الصايقين اللّي ترزم يا اهل اللزم
وعلى سررتي موجّوا فالرّق معاه
الدنيا فيها اجهاد والعقد مزّم يا اهل اللزم
واللّي هو رجيل فالحزّة نلقاه
الهربة تفضح اليوم عند بنات العمّ يا اهل اللزم
واللّي باختو تزيد في راسو واعناه
الدنيا فيها قفول جات اطيح اهضم يا اهل اللزم
وامّا ليها يقصروا بها شرّاه
ما زين صوق الجمال والخرق معّم يا اهل اللزم
فالمركب زايذة رديفة فوق ادراه
الدنيا فيا ارحيل والنجع ايديّم يا اهل اللزم
خلفاتو صايقين وافحلهم مهمّاه
حتى الدييون را في مجراه ادهم يا اهل اللزم
عنّو قجر القدير سيل الما قّداه
وحتى الترفاس راه في الارض مدمم يا اهل اللزم
واحنا متباهزين عنّو يا مبهاه

الدنيا فيا اخيام واللقط محرجم يا اهل اللــــــزم
شـاوية فاليلة الّا فالــــوادم احــــــداه
اشباحات الاجحاف لفراش مرّقم يا اهل اللزم
ويشـيرة بالعطــــور زينة تتســــناه
دازوا لبنات يا بّي فوق ابزاييم يا اهل اللــــزم
لجــــوادم يفيشوا الا صابوا لك بــــاه
حتى مشرار ما قرن زوج احرايم يا اهل اللــــزم
يــــدّي وحمــــدة مقشــــبة هداك اعــــباه
بنت الخيمة تجيك رطبة تتبسّم يا اهل اللــــزم
يطــــرح خاطرك الا جا شوم بــــلاه
بنت العشّة تجيك قمّة تتكمكم يا اهل اللزم
واللّي بــــوها ارذيــــل ما تعرف معــــناه
الدنيا غارّة بلعباد تسلم يا اهل اللــــزم
واللّي مالوا كثر يــــر راه الفــــي اّاه
اللّي غرّو ابليس يضحى قي نادم يا اهل اللزم
يــــوم المحــــشر يكركبوا فالنار مــــعاه

الدنيا فيا جموع تخلص حَقِّي تَمَّ يا اهل اللزم

وَحَقَّ المتهجلة

لرَبِّي تتســـــــــــــــــناه

ن بقي يوم الجهاد فوق ازرق ينهم يا اهل اللزم

وايمــــــــــــــــاني حاضــــــــــــــــرين وحديدي نلقاه

معايا زِيَاخ في طراشين الابل تَمَّ يا اهل اللزم

واحنايا غــــــــــــــــالبين شي قوم الخزياه

الناس الطايعة في رَبِّي تخدم يا اهل اللزم

تسجد بالصفّ كلّ يوم تجي طلباه

والحضرة والاعياذ والضيفن تكرم يا اهل اللزم

ويا سَعْد اللّي خدم لقــــــــــــــــبرو ما دراه

يشفع في والديه ويعود مقدّم يا اهل اللزم

ونضـــــــــحوا في جَنَّة النعيم احنا وياه

2-3- أهمية القصيدة:

القصيدة لها أهمية بالغة من عدّة جوانب, وأهمّها الجانب التاريخي. فالشاعر استشهد في 19 مارس 1900. أي أنّ القصيدة قيلت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. فهي تُعطينا صورة حية عن

المجتمع البدوي في تلك الفترة. هذا من جهة, ومن جهة أخرى
تعطينا القصيدة صورة عن اللهجة الدارجة الصافية التي لم تتأثر بعدُ
باللسان الفرنسي. وهي بهذا الشكل وثيقة مهمة تساعد على دراسة
تطور الشعر الشعبي في المنطقة.

2-4- مواضيع القصيدة:

يمكننا تصنيف القصيدة في غرض الوصف. فالشاعر يصف كلّ ما
تقع علي عينه في بيئته الصحراوية. وبيّض أنّ القصيدة تتحدث عن
تسعة مواضيع أساسية, والموضوع الجديد دائما يبدؤه الشاعر بقوله:
" الدنيا فيها ".

- الموضوع الأول: الحديث عن الغزال والنعام وصيدهما. يبدؤه
بقوله: " الدنيا فيها اغزال ".

- الموضوع الثاني: الحديث عن أترابه وقومه من رجال ونساء. يبدؤه
بقوله: " الدنيا فيها إيشاشرة وبنات العم ".

- الموضوع الثالث: الحديث عن سوق النياق والجمال. يبدؤه بقوله: "
الدنيا فيها الصايقين اللي ترزم ".

- الموضوع الرابع: الحديث عن الجهاد. يبدؤه بقوله: " الدنيا فيها
اجهاد ".

- الموضوع الخامس: الحديث عن القوافل. يبدؤه بقوله: " الدنيا فيها
اققول ".

- الموضوع السادس: الحديث عن المرحول. يبدأ بقوله: " الدنيا فيها ارحيل ".
.

- الموضوع السابع: الحديث عن الخيام. يبدأ بقوله: " الدنيا فيها اخيام ".
.

- الموضوع الثامن: التحذير من الدنيا. يبدأ بقوله: " الدنيا غارة بلعباد تسلم ".
.

- الموضوع التاسع: الحديث عن الجماعة في القبيلة. يبدأ بقوله: " الدنيا فيها اجموع ".
.

2-5- الجانب المعجمي من القصيدة:

ذكرنا سابقاً أنّ هذه القصيدة تتميز بكونها قيلت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومن ثمّ فهي تعطي صورة عن اللهجة المستعملة في ذلك الوقت. ولإيضاح هذه الصورة سأحاول الوقوف عند بعض الكلمات الواردة في القصيدة، وأحلّها من الجانب المعجمي فقط.

- كلمة رَزَمَ:

يقول إدريس دويذة في قصيدته:

الدنيا فيها الصايقين اللّي ترزم يا اهل اللزم
وعلى سـرتي موجّـوا فالرّقّ مـعاه

كلمة " ترزم " هنا هي نعت لمنعوت محذوف, تقدير الكلام: صايقين الناقة اللي ترزم.

وقد مرّت عليّ هذه الكلمة من قبل في قصيدة للشاعر علي دويدة, وهو أخو إدريس, يقول فيها:

زينين الرزّامات وفالعشب فاليات وشور المحرن راجو. وعرفت حينها أنّ الرزّامات هنّ النوق فقط.

ثمّ التقيتُ بالحاج أحمد نصيري بن أحمد بن الحاج محمّد فذكر لي أنّ الشاعر محمّد بن السايح, أحد شعراء ورقلة, قال قصيدة في رثاء جدّه الحاج محمّد نصيري, جاء فيها: طردوه من النياق معقول يرزّم.

فسألته عن كلمة يرزّم فقال لي هي الناقة تصدر أصواتا عندما تريد استدعاء صغارها.

فحينها فقط فهمت معنى كلمة رزم.

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «ر زمت الناقة: إذا قامت من الإعياء, وبهارُ زام. وذلك القياس, لأنّها تتجمع من الإعياء ولا تنبعث. والأصل الآخر: الإرزام: صوت الرّعد, وحنين الناقة في رُغائها. ».

(ابن فارس, معجم مقاييس اللغة, تح: عبد السلام هارون, دار الفكر, بيروت, ط1, 1979, ج2, ص: 389.)

واستعمل بشار بن بُرد هذه الصفة, وهي الإرزام, استعمالا مجازيا فوصف بها القوس, تشبيها لها بالناقة.

يقول بشّار:

إذا رَزَمْتَ أَنْتَ وَأَنْ لَهَا الصدى أنينَ المريض للمريض يجاوبه

ويشرح الطاهر بن عاشور محقق الديوان معنى رَزَمْتَ فيقول:

« رَزَمْتَ: صَوَّتت صوتاً يُشبه الرَزَمَةَ، بالتحريك، وهو صوتٌ يخرج من الحَلَقِ بدون فتح الفمّ، وهو استعارة. ».

(ديوان بشّار بن برد، تح: الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007، ج1، ص: 232).

ولا يتسع المقام لدراسة جميع القصيدة. ونكتفي بما ذكرناه.

3- خاتمة:

من خلال ما سبق ذكرنا بعض الجوانب من حياة البطل إدريس دويده بن حمّادي، وذكرنا جهاده واستشهاده في معركة اينقر سنة 1900. كما ذكرنا قصيدته " ضاقت روعي "، ودرسنا جزءا من الجانب المعجمي منها.

ورغم بسالة هذا البطل واستماتته في الدفاع عن وطنه وأهله ونهائيه المشرفة، إلّا أنّ الذاكرة الجماعية أهملته وأهملت شعره وأدبه.

ونأمل أن نكون قد نفطنا بعض الغبار عن حياته وجهاده وشعره، في انتظار إضافة معلومات أخرى عنه. ونأسف لضياع كثير من المعلومات عن الشهداء الذين استشهدوا قبل ثورة التحرير، رغم

جهودهم الكبيرة التي بذلوها في الدفاع عن بلادهم. فرحم الله الشهيد
ورحم جميع شهداء الوطن.

4- المصادر والمراجع:

أ- المصادر المكتوبة:

- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار
هومة، الجزائر، ط 2005.

- بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تح: الطاهر بن عاشور، وزارة
الثقافة، الجزائر، ط1، 2007.

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار
الفكر، بيروت، ط1، 1979.

ب- المصادر الشفهية:

1- أحمد بودبوس بن إبراهيم، من شعراء المنيعية، لقاء معه في
بيته، في نوفمبر 2016.

2- أحمد نصيري بن الحاج أحمد، تاجر من المنيعية، ولد عام
1939، وتوفي في سبتمبر 2023، لقاء معه قرب بيته، في
جوان 2018.

3- جلول شبير بن إبراهيم، من شعراء المنيعية، ولد بالمنيعية عام
1920، لقاء معه في بيته، في أكتوبر 2016.

4- الشيخ حجاج بن محمد الباقي بن الشيخ, ولد بالمنية عام 1965, من العارفين بالأنساب والتاريخ, من أصدقائي, سمعت منه كثيرا من الأنساب والحوادث التاريخية, ما بين 2007 إلى الآن.

5- الشيخ نواصر بن سالم, ولد عام 1924, لقاء معه في بيته يوم الخميس 28 ماي 2009, المساء بعد العصر.

6- فاطنة طرودي بنت محمد بن الشيخ, ولدت عام 1941, خالة الباحث, لقاءات كثيرة, توفيت رحمها الله في جانفي 2024.

7- الحاج قويدر دويذة بن قنور العايب, ولد عام 1927, لقاءات كثيرة, توفي رحمه الله في ديسمبر 2015.

8- قويدر صنديد بن علي, ولد عام 1935, من العارفين بالأنساب, لقاءات كثيرة.

9- مصطفى فرطاس بن علي, ولد في 1965, لقاء في أفريل 2014.

10- يمينة بلقندوز بنت محمد, ولدت 1940, لقاء في مارس 2012.